PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62(04) :913-938
ISSN: 1553-6939

"Argumentation in Ancient Political Discourse: A Pragmatic Study of Communication and Argumentation Mechanisms in the Letters of Ali and Muawiya"

Djemel Benaziez[1], Meftah Ben Arous[2]

[1]PhD student, University of Algiers 2, Faculty of Arts and Languages, Department of Linguistics, Specialization: Discourse Analysis (Algeria).
[2]Higher Teachers' School of Laghouat, (Algeria).

The Author's E-mail: djemel.benaziez@univ-alger2.dz[1], Abousondous02@yahoo.fr[2]

Received: 09/09/2024 **Published: 18/04/2025**

Abstract:

The text addresses critical junctures in the history of the Islamic world that led to divisions and conflicts within the Islamic nation. These conflicts often stem from political ambitions and the desire to extend influence, but they are wrapped in doctrinal and sectarian character that grants absolute legitimacy to one of the parties, leading to the exacerbation of violence and the entrenchment of disputes.

Based on this reality, the study aims to contribute to understanding the causes of these conflicts and to propose a rational and ethical alternative for resolving disputes through dialogue, argumentation, and debate in the best manner. The study focused on analyzing the discourses (letters) of Imam Ali and Muawiya bin Abi Sufyan for two main reasons:

1. They were the main parties in a historical conflict that paved the way for subsequent events and wars in the history of the Islamic nation.
2. They were distinguished by eloquence and rhetoric, as they were masters of expression, pioneers of oratory, and possessors of linguistic craftsmanship.

The study relies on argumentation theory and the various conceptual and procedural tools it provides to help understand these discourses, recognize their operational mechanisms and their influential and persuasive capabilities, which served as a window for dialogue and negotiation before resorting to violence.
The concepts used in the analysis belong to more than one theory of argumentation and are divided into two types:

1. Terms specific to argumentation that is primarily defined outside language: the utterer, the receiver, argumentative roles, polyphony, argumentative refutation.
2. Terms specific to argumentation that relies on language characteristics: cognitive semantics, presupposition, implicit statement, double meanings, argumentative orientation.

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62(04) :913-938
ISSN: 1553-6939

Keywords: Argumentation, Conflict, Imam Ali, Muawiya bin Abi Sufyan, Political Discourse, New Rhetoric.

"الحجاج في الخطاب السياسي القديم: دراسة تداولية لآليات التواصل والحجاج في رسائل علي ومعاوية رضي الله عنهما"

جمال بن عزيز[1]، مفتاح بن عروس[2]

[1]طالب دكتوراه، جامعة الجزائر 02، كلية الآداب واللغات، قسم علوم اللسان، تخصص: تحليل الخطاب (الجزائر).

[2]المدرسة العليا للأساتذة/ الأغواط (الجزائر).

ملخص:

يتناول النص محطات حاسمة في تاريخ العالم الإسلامي أدت إلى انشقاقات وصراعات داخل الأمة الإسلامية. هذه الصراعات غالباً ما تنبع من أطماع سياسية ورغبة في بسط النفوذ، لكنها تُغلف بطابع عقائدي ومذهبي يمنح الشرعية المطلقة لأحد الأطراف، مما يؤدي إلى تفاقم العنف وتجذر الخلافات.

انطلاقاً من هذا الواقع، تهدف الدراسة إلى المساهمة في فهم أسباب هذه الصراعات واقتراح بديل عقلاني وأخلاقي لحل الخلافات من خلال الحوار والحجاج والجدال بالتي هي أحسن. وقد ركزت الدراسة على تحليل خطابات (رسائل) الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان لسببين رئيسيين:

كونهما الطرفين الرئيسيين في صراع تاريخي مهد لأحداث وحروب لاحقة في تاريخ الأمة الإسلامية.

تميزهما بالفصاحة والبلاغة، حيث كانا من أرباب البيان ورواد الخطابة وأصحاب الصناعة اللغوية.

تعتمد الدراسة على نظرية الحجاج وما تقدمه من مفاهيم وأدوات إجرائية متنوعة تساعد في فهم هذه الخطابات وإدراك آليات اشتغالها وقدراتها التأثيرية والإقناعية، والتي كانت بمثابة نافذة للحوار والتفاوض قبل اللجوء إلى العنف.

المفاهيم المستخدمة في التحليل تنتمي إلى أكثر من نظرية في الحجاج، وتنقسم إلى نوعين:

مصطلحات خاصة بالحجاج الذي يُحدد أساساً خارج اللغة: المتلفظ، المتقبل، الأدوار الحجاجية، تعدد الأصوات، التبكيت الحجاجي.

مصطلحات خاصة بالحجاج الذي يعتمد على خصائص اللغة: الدلالة المعرفية، المقتضى، القول المضمر، المعاني المزدوجة، التوجيه الحجاجي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الصراع، الإمام علي، معاوية بن أبي سفيان، الخطاب السياسي، البلاغة الجديدة.

1. مقدمة:

شهد العالم الإسلامي محطات حاسمة غيرت مجرى التاريخ وفتحت بابا واسعا للانشقاق والتفكك في جسد الأمة وزرعت بذورا سامة تنبت من حين لآخر وتزهر أشواكا ومآسيا وغالبا ما تكون الأطماع السياسية وبسط النفوذ سببا في ذلك والأدهى أن تغلف هذه الصراعات بطابع عقائدي مذهبي يمنح الحق المطلق لهذا الطرف أو ذاك مما يكسب الصراع أقصى أشكال العنف والتجذر.

وانطلاقا من هذا الواقع المرير ارتأينا أن نسهم بجهد بسيط أو كلمة صادقة في محاولة فهم أسباب الصراع واقتراح بديل عقلاني أخلاقي لحل الخلافات ألا وهو الحوار والحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

وقد انصب اهتمامنا على دراسة وتحليل بعض خطابات الإمام علي كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتم اختيار هذه الخطابات (الرسائل) لسببين اثنين :

1. أن عليا ومعاوية هما الطرفان الرئيسان في ذلك الصراع الذي مهد لما تلاه من أحداث وحروب في تاريخ الأمة.
2. ما تميز به كل من علي ومعاوية من فصاحة وبلاغة فهما من أرباب البيان ورواد الخطابة وأصحاب الصناعة ملكا مفاتيحها وخبرا أسرارها ودقائقها.

على أن تكون هذه الدراسة معتمدة بالأساس على ما تقدمه نظرية الحجاج من مفاهيم وأدوات إجرائية وطروحات تتسم بالثراء والتنوع. تساهم في فهم هذه الخطابات وإدراك طرق اشتغالها وطاقاتها التأثيرية والإقناعية الكبيرة والتي كانت بمثابة نافذة للحوار والتفاوض قبل اللجوء إلى العنف واستخدام قوة السلاح. كما ننوّه بما يلي:

المفاهيم المستخدمة في التحليل تنتمي إلى أكثر من نظرية في الحجاج و هي مرتّبة حسب مقتضيات العرض في تحليل النّص الحجاجي لا حسب انتمائها إلى هذه النّظرية أو تلك، و تنقسم هذه المفاهيم و المصطلحات إلى مصطلحات خاصّة بالحجاج الذي يُحدّد أساسا خارج اللّغة و تتمثل في : المتلفّظ، المتقبّل، و دورهما في تكوين النّص و إنتاج الحجاج، الأدوار الحجاجية و تعدد الأصوات و تأثير ممثلي الحجاج في تشكيل مسار الخطاب الحجاجي، التبكيت الحجاجي و مسؤولية الإدلاء بالحجّة تقابلها مصطلحات خاصّة بالحجاج الذي يعتمد على خاصية اللّغة، مثل : الدلالة المعرفية، المقتضى، القول المضمر، المعاني المزدوجة، التّوجيه الحجاجي...

1 مفهوم الخطاب السياسي

يعرّف الخطاب السياسي بكونه التخاطب بالواسطة يعني عن طريق متكلم ما (فرد، جماعة، حزب) للظفر بالسلطة عبر خوض صراع سياسي ضد أفراد أو جماعات أخرى[1].

من خلال التعريف يتجلى البعد البراغماتي الموجود دائما خلف أي خطاب سياسي فالخطاب السياسي يرتبط عادة بخطاب للسلطة، و له صلة وثيقة بها، فالحطاب أكثر الأدوات أهمية توظفه القوى السياسية في سعيها المشروع للحصول على السلطة.

إنّ الحصول على السلطة بالدرجة الأولى قضية خطابية و شرعية الوصول إليها هو نتيجة نشاط خطابي متسع المدى يحمل رسالة و ينشر ايديولوجية مهما كانت صرامتها، و يحرك نحو الفعل مباشرة أو

[1]- قسطنطين سلافاسترو، منطق السلطة و دينامية الخطاب السياسي، تر عبد الإله بوحمالة، مقال ضمن موقع: الحوار المتمدن، http://www.alhewar.org/

تمهيدا، عن طريق استعمال قنوات اتصال جد متنوعة لذلك نلاحظ ذلك الانشغال البالغ لدى الجماعات السياسية في مسألة البحث عن أشكال خطابية تكون قادرة على التأثير العميق و المقنع للجمهور المتلقي.

2 خصائص الخطاب السياسي

1- الخاصية العلائقية للسلطة

هناك علاقة بين السلطة و الخطاب السياسي، فمن خلال تحليل للسلطة يمكن الوصول إلى فهم للخطاب السياسي و تحولاته المستمرة، و كملاحظة أولية تعتبر السلطة في حد ذاتها علاقة و هذا هو تعريفها الشائع في العلوم السياسية، حيث تعني "قدرة الطرف (أ) على دفع طرف (ب) إلى فعل أشياء لا يفعلها في العادة"[2]، و بهذه الصفة تتمحور العلاقة حول ثلاثة محاور :

المحور الأول: مالك السلطة (طرف (أ) قادر على ممارسة فعل سلطوي)

المحور الثاني: خاضع للسلطة (طرف (ب) يقع عليه فعل السلطة (تمارس عليه))

المحور الثالث : مجال السلطة (تفاصيل الحياة اليومية، حيث تمظهر العلاقة بين الطرفين (أ) و (ب))

وقد طرح "ميشيل فوكو" نظرة متميزة للخطاب في ربطه بالسلطة[3] فهو عنده شيء من الأشياء، و هو ككل الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة، فهو ليس فقط انعكاسا للصراعات السياسية، بل هو المسرح الذي يتم فيه استثمار الرغبة فهو ذاته مدار الرغبة و السلطة.

إن خطورة الوسائل القمعية التي تمارسها السلطة بواسطة الخطاب، ليست راجعة في نظر "فوكو" و كما تصور للوهلة الأولى إلى وسائل التحكم الخارجية التي عرفتها الكلمة المكتوبة. و إنما إلى عملية التنظيمات الداخلية للخطاب نفسه التي تقتضي في ظل حروب من الإقصاء و الاستبعاد بإقامة مساحات من الصمت، و الإضمار ومساحات من الإفصاح و الإعلان تحكم ما يجب أن يقال...

و بما أنّ الخطاب عموما و الخطاب السياسي على وجه الخصوص كان و لا زال مرتبطا بالسلطة، فإنه اكتسب مجموعة من الخصائص يمكن تلخيصها فيما يلي[4]:

1- الخطاب السياسي دائما موجه للآخر، في المواجهات السياسية لا أحد يكلم نفسه لأنه لا يمكن الحصول على السلطة إلا بمساعدة الآخرين و في النتيجة نستطيع أن نفهم ان الشعارات المستعملة بكثرة و بالخصوص في الخطابات السياسية للحملات الانتخابية (سلطة الشعب، سلطة الجميع، الحكم لله...) ليست إلا تراكيب بلاغية يتم بها أو بواسطتها حشد الجماهير و دفعها للفعل.

2- القطبية المتطرفة للخطاب السياسي، ففي المواجهات السياسية ليس لدينا إلاّ نمطين اثنين من الخطاب، خطاب مالك السلطة و خطاب الخاضعين.

---

[2]- قسطنطين سلافاسترو، المرجع السابق .

[3]- ينظر محمد ناصر الخوالدة، مفهوم الخطاب كوسيلة اتصالية، مقال ضمن الموقع الالكتروني: http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=31070 .بتاريخ: 13-02-2010.

[4]- لمزيد التفصيل حول خصائص الخطاب السياسي ينظر المقال السابق لقسطنطين سلافاسترو.

3- الصراع على السلطة مفتوح دائما و كنتيجة لذلك تبرز خاصية البعد السجالي للخطاب السياسي، فكل خاضع للسلطة إلا و له هدف لاحتلال موقع مالكها في مختلف مستويات ممارسة هذه السلطة.

4- يبنى الخطاب السياسي على الحجاج باعتباره جنسا من أجناس التواصل يتميز بطبيعة المبادئ التي تحكمه والبنيات التي تحدد القضايا التداولية التي تعطيه هويته كقيمة تواصلية اجتماعية[5]، ففي المجتمع الديمقراطي ليست هناك آلية بديلة غير آلية الخطاب للتغلب على الخصوم و الانتصار على خصم ما يعني الرفض المعلل لأفكاره وحججه و أفعاله، و بما أن الخصم هو أيضا يفعل نفس الشيء في المقابل فالمواجهة بين الاثنين هي علامة السّجال و النتيجة تجذّر أقصى للخطاب السياسي.

5- يشكل التعدي في علاقة السلطة الأساس المنطقي لهرم السلطة، فعلاقات السلطة علاقات مراتب، فهي تؤسس هرميات معينة، و مستويات معينة من تدبير السلطة، هذه الهرميات لها كنتيجة ترتيب الخطاب بالنظر إلى المستوى الذي يقع فيه مالك السلطة، مثال : الخطاب الذي ينتجه رئيس الحزب مكون من بعض الصيغ مختلفة تماما عن خطاب عضو عادي في الحزب..

6- تفويض السلطة من الأعلى إلى ما دونه في الهرمية له بعض الحدود في سريان الخطاب السياسي، فخطاب التابع يظل دائما في الإطار المرجعي لخطاب الزعيم، مثال : خطاب جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله علي رضي الله عنه إلى معاوية بالشام يدعوه إلى طاعته و تقديم البيعة له[6].

2- الصراع الخطابي كآلية لاكتساب السلطة

يُعبر الصراع الخطابي من أجل إحراز منصب للسلطة عن ميل الفرد إلى الانتقال من علاقة طبيعية للسلطة إلى بعض الأوضاع التي تبتعد من الطبيعية، فالنزاع هو العلامة البديهية للصراع الخطابي من أجل السلطة، و الذين ينازعون في شأنها هم طبعا الخاضعين لها لأنهم يريدون أن يتحولوا إلى أصحاب سلطة.

حينما تتكرس علاقة السلطة و تستقر فإنها تضمن تراتبية معينة في السّلطة و الخطاب الذي يرسّم علاقات محددة بين الأفراد المنخرطين في هذه البنية التراتبية، لكن إذا كانت السّلط الجديدة لم تثبّت بعد، فإنّ المطالبات التي تطالب بتغيير التراتبية واضحة، فالتراتبية القائمة سيئة و لكن فقط إلى حدود اللّحظة التي يقيم فيها المعترض تراتبية بديلة، أمّا بعد ذلك فإن هذا الأخير يعمل كل ما في وسعه للحفاظ على التراتبية و تكريس السلطة، مثال ذلك : استقرار السلطة في عهد الخلفاء الراشدين، علي – كرم الله وجه- سلطة جديدة لم تثبّت، معاوية – رضي الله عنه – يطالب بتغيير التراتبية القائمة (للسلطة السيئة)، و بعد أن تؤول إليه الخلافة يسعى جاهدا إلى توطينها و تكريس سلطته.

3 الحجاج: مفهومه، مجاله، وظيفته

1.3 مفهوم الحجاج :

أطلق "برلمان" و "تيتيكا" لفظة "حجاج" و "محاججة ""Argumentation" على العلم وموضوعه، و من أهم تعاريفهما لنظرية الحجاج : "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، و أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[7].

[5]- ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2006، ص20.

[6]- ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407ه، ج3.ص67.

[7]- Chaim Perlmen et Lucie Olbrecht- Tyteca : Traité de l'argumentation, 5éme édition, éditions l'université de Bruxelles, 1992, p5.

فالحجاج مجموعة من التقنيات ذات التصانيف الخاصّة تستهدف العقل بمعنى الابتعاد عن مبدأ التّلاعب بعواطف الجمهور و إثارة الأهواء و التّضليل.

و من جهة أخرى نلاحظ أن هذا المفهوم و إن استهدف العقل - الذي يُعتبر محّل عناية الجدل - من خلال دراسته لطرق التّأثير في المتلقي ذهنيا و جعله يُسلِّم بما يُعرض عليه، فإنّه يتميّز بطبيعة استدلالية غير إلزامية أو غير قطعية و هذا ما دفع "برلمان" إلى التمييز بين الحجاج و البرهان الذي يستند إلى حقائق لا تراعي تصديق المتلقي في الوصول إلى النتائج.

فالحجاج عند "برلمان" لا يُختصر في نموذج البرهنة المنطقية رغم استعماله لبعض وسائلها[8]، بل يستند إلى صناعة الجدل من ناحية و صناعة الخطابة من ناحية ثانية، بكيفية تجعل الحجاج شيئا ثالثا لا هو الجدل و لا هو الخطابة، إنه خطابة جديدة (فالجدل يظهر في إذعان المتلقي نظريا و الخطابة تظهر من خلال إلحاحها على فكرة توجيه العمل و الإعداد له و الدّفع إليه، لقد جعل البحثان الجدل في خدمة الخطابة و الخطابة غاية الجدل، فهو لها عماد و هي له امتداد)[9].

و في موضع آخر من الكتاب يعتبر برلمان الحجاج "مظهراً من مظاهر القوة الباطنية: إنه الحركة التي يسعى من خلالها دائما إلى تغيير أحوال الأمور التي كانت قائمة"[10]. و هذا التغيير يتّم في هدوء و رصانة و إقناع، لقد اعتبر "برلمان" الحجاج نسقا قويّا ينوب عن القوّة المادية في تحقيق النّتائج الملموسة الّتي كان رفض المعنيين لها سيضطر أصحاب اللّغة أو القيمين على الوضع، إلى اللّجوء إلى القوة من أجل الإرغام على إنجازها[11].

إذن: الحجاج مساره حواري يستخدم أحكام القيمة "برهنة جدلية" فهو برهنة ليست شخصية - مُوجّهة إلى طرف ما - كما أنّها ليست ملزمة و تكون الحجج فيها كثيرة نسبيا أمّا جمهوره فخاص إلّا أنّه يقصد من خلاله جمهورا كونيا، و هذا الجمهور معني بالبحث عن الأفضل[12] .

2.3 مجال الحجاج

إنّ مجال الحجاج في نظر "برلمان" يتعلق أساسًا بالبحث في المرجح و المعقول و المحتمل. إذ أن الحجاج ليس موضوعيا محضا كما أنه ليس ذاتيا محضا، ما يجعله يقوم على المعقولية و على الحرية، إنه حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة[13]، فحين يتفق الجميع فلا ضرورة للحجاج.

إنّ الحجاج ينطلق من مبدأ اختلاف وجهات النّظر (تعدّد الحقيقة)، و على هذا الأساس ينفرد عن الجدل الذي يعتمد المنطق الصوري، لكن هذا لا يعني سيطرة أهواء و نوازع المحاج في تشكيل الحقيقة تشكيلا لا يتعدى الأفق الذاتي في النظر إليها، و من هنا ينقسم الحجاج إلى نوعين : حجاج يرمي إلى الإقناع الذهني وحجاج يرمي إلى الحمل العاطفي.

---

[8] - الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النص، ع 14، ديسمبر 1999، دار الحكمة، ص 275.

[9] - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس،2001، ص28.

[10] - Perlmen et Tyteca, traite de l’argumentation. p72.

[11] - ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، م28، ع3، مارس 2000، الكويت.ص82.

[12] - عبد الله صولة، - الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس،2001، ص31.

[13] - ينظر حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج مجلة التربية، البحرين، ع15، 2005، ص42.

و مجال المعقول هو المجال الذي يؤكد عليه "برلمان" فيما يتعلق بالخطاب الحجاجي، بحيث تتحقق الاستمالة في الأساس باستدلال منطقي قابل للاختيار من قبل المتلقي، ليأتي اختياره اختيارا واعيا عاقلا[14].

يقول "برلمان" : "إن الحجاج غير الملزم و غير الاعتباطي هو وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل، فأن تكون الحرية تسليما اضطرارا "إلزاما" بنظام طبيعي معطى سلفا، معناه انعدام كل اختيار يكون ضربا من الحوار و يستحيل إلى حطم اعتباطي يسبح في فراغ فكري"[15].

إنّ تأكيد "برلمان" على ضرورة قيّام الحجاج على مبدأي: المعقولية و الإقناع، مرتبط لديه بغاية انسانية أسمى و هي تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل.

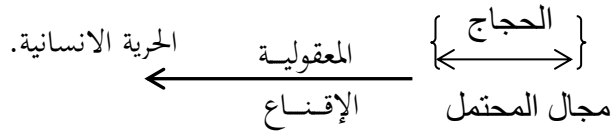

3.3 وظيفة الحجاج و غايته :

"أنجع الحجاج ما وُفِّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللّحظة المناسبة"[16].

تكمن وظيفة الحجاج إذن في محاولة جعل العقل يذعن لما يُطرَح عليه من أفكار أو يزيد في درجة الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب.

فغاية الحجاج تحقيق وظيفة عملية، هي جعل السّامعين مهيئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة، فضلا عن تحقيق الاستمالة، استمالة المتلقي لما يعرض عليه من رأي أو دعوة، و التأثير العملي في سلوكه، وبالجملة الإقناع[17].

إنّ "برلمان" لم يعد يعنيه تكوين خطاب مُفوّه و إنّما يعنيه فهم ميكانيزم التفكير، ما يعني قصد التّحول من مرحلة إنتاج خطابة رنّانة (تَطرب لها الآذان و تتصدّع القلوب) إلى مرحلة تحليل خطابة مفكرة مُعلّلة مُبرهنة تميل إليها العقول، فيستجيب لها السلوك و مثل هذه الخطابة لا تحضر في مستوى الجمع أو الحشد، و إنما تكون أيضا في المناقشة بين فردين و حتى بين الفرد و نفسه[18].

[14] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[15] - Chaim Perlmen et Lucie Olbrechts- Tyteca : Traité de l’argumentation, p11.
[16] - المرجع السابق، ص5.
[17] - ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب، القاهرة، دط، دت.، ص107.
[18] - المرجع نفسه، ص116.

4 - مظاهر التّواصل في نظرية برلمان

حاول "برلمان" أن يقدّم تصورا يولي اهتماما كبيرا لمظاهر جديدة من التّواصل يكون فيها الهدف تأسيس بناء فكري عميق تندرج فيه أبعاد المتكلّم و السّامع و المقام معا بحيث يحمل المنتج الجديد "الخطاب الحجاجي" الخصائص الجوهرية لهذه المكونات الثلاثة[19].

فهو يسعى إلى خلق إطار تواصلي إقناعي يُؤسِّسه طرفا التّواصل فضلا عن المقام الذي يشكّل بدوره لغة الخطاب الحجاجي.

إنّ نظرية "برلمان" تعيد الاعتبار للمتلقي الذي يلعب دورا إيجابيا لا يقل عن دور المرسِل، يقول "برلمان" : "ما يجب استبقاؤه من الخطابة القديمة هو فكرة المتلقي الّتي ترد إلى الذّهن مباشرة عندما نفكر في الخطاب، فكل خطاب مُوجَّه إلى متلقٍ و غالبا ما ننسى أنّ الأمر كذلك في كل خطاب مكتوب، فالخطاب يعدّ بلغة المتلقي، لكن الغياب المادي للقرّاء قد يجعل الكاتب يعتقد أنه وحيد في العالم، بينما نصّه في واقع الأمر - وعى الكاتب ذلك أم لم يع - مشروط دائما بالأشخاص الّذين يقصد مخاطبتهم"[20].

إنّ المتلقي في الخطابة الجديدة بحكم إيجابيته يقف في درجة موازية لدرجة المرسل، و من ثم يتلقى الخطبة من مقابل موازٍ، فالعلاقة بينهما أفقية[21] حسب المخطّط التّالي:

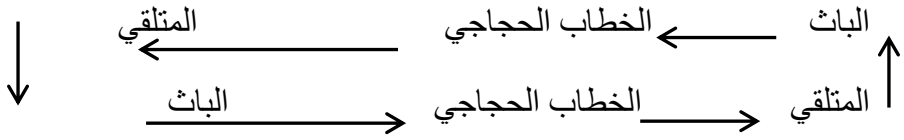

1.4 أنواع المتلقي / المستمع: Auditoire

يعدّ "المتلقي/المستمع" مقصودا بفحوى الخطاب و عليه أن يكون مؤهلا لاستيعابه و تنميته و المساهمة بصفة فعلية في تشكيل المعالم الكبرى للمادّة الحجاجية المقدّمة من طرف الخطيب.

و قد وسع "برلمان" مفهوم المتلقي (المستمع) و صنّفه في ثلاثة أصناف هي:

المخاطب الكوني، المخاطب الوحيد، المخاطب المكون من الخطيب ذاته، و هي أصناف إما فعلية "حاضرة" أو متخيلة "مفترضة"[22].

2.4 مفهوم المقام في النظرية البرلمانية

يقدم "برلمان" تصورين أساسيين للمقام:

أ- المقام: هو الإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية.

ب- المقام: هو تلك المقدّمات ذات النّظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج و ترتيب القيم.

---

[19] - محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج، ص64.
[20] - Chaim Perlmen et Lucie Olbrechts- Tyteca : Traité de l'argumentation, p134.
[21] - جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص117.
[22] - المرجع نفسه، ص نفسها .

و لكل من التصوّرين دوره الحجاجي، إلا أن "برلمان" يصر على ضرورة التحامهما، و عدم إمكانية دراسة أي منهما بمنعزل عن الآخر.

هذا المقام بمفهوميه يختزل داخله مقامات و أماكن متعددة يصلح كل منها دعامة جماعية في موقف معين، كما قد يتعاضد اثنان أو ثلاثة من هذه المقامات في سياق نوعي معين لإبراز فكرة خاصّة بالمقام الأشمل، و يرى "برلمان" أن حسن استغلال إمكانيات المقام هو الذي يمنح المسار الحجاجي قوة ذات تأثير دامغ[23].

لقد قدم "برلمان" تصورا مفصّلا لدور المقام في الخطابات و النّصوص المعاصرة على اختلاف أجناسها المعرفية و أساليبها في الأداء و التّوصيل.

3.4 منطلقات الحجاج (مرجعيات الاستدلال عند المتكلم)

تمثل المرجعيات نقطة انطلاق الاستدلال و هي مقدمات المقدمات المتعلّقة بالقضايا الّتي منها يكون الانطلاق في الحجاج[24]، و هذه المقدمات على اختلاف أنواعها يعتمد من خلالها المتكلم على الحس المشترك لمجموعة لسانية معينة. فهو جماع معتقداتها و مناط موافقتها، بل و موافقة كل عاقل، و المحاجة في هذه الحال موجهة الإنسان عامة.

إنّ لكل عصر و لكل مصر مواضعهما و معانيهما، و لكل اختصاص علمي أو تقني او قانوني أو غيرها مواصفات تكون بينهم و تكون لهم لغتهم الخاصة و حدودهم و تعريفاتهم الخاصّة أيضا ما يجعلهم يشكلون جمهورا خاصا لأفراده فيما بينمهم طرائق في الحجاج خاصّة تعتمد مقدمات و موافقات مخصوصة[25].

و هذه المنطلقات (المقدمات) لا تؤدي دورها إلّا إذا أحسن الخطيب اختيارها و عرضها و فيما يلي أهم هذه المقدمات و أسس اختيارها و طرق عرضها.

4.4 المعطيات / مقدمات المقدمات

تتمثل المعطيات فيما يلي :

الوقائع : هي المقولات الواقعية التي لا يختلف اثنان في وقوعها و تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس[26]، و تنقسم إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية، و وقائع مفترضة من ناحية أخرى، والتّسليم بالواقع من قبل الفرد ليس إلّا تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا، و هذه الوقائع لا تكون عرضة للدّحض أو الشّك و هي بذلك تشكل نقطة مهمة في الحجاج.

الحقائق : و هي حقائق فعلية و أحداث معينة لا يشك المتخاطبون في ثبوتيتها المرجعية، و ذكرها في الخطاب أو النّص له طابع حجاجي. و هي أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع، و تقوم على الرّبط بين الوقائع، ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية.

إن هذه الحقائق معلومة لدى الجميع و قد يقع اعتمادها للبرهنة على غير المعلوم[27]. فقد يعمد الخطيب إلى الرّبط بين الوقائع و الحقائق ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة، كأن يضاف التيقّن

[23] - ينظر محمد سالم، مفهوم الحجاج عند برلمان، ص 87.
[24] - ينظر عبد الله صوله، الحجاج أطره و منطلقاته، ص 308.
[25] - ينظر المرجع نفسه، 313.
[26] - محمد سالم ولد محمد الأمين، مهوم المقام عند بيرلمان، ص89.
[27] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

من الواقعة (أ) إلى النظرية (س) لإنشاء التيقن من (ب)، و معنى ذلك أن التسليم بالواقعة (أ) و بالنظرية (س) يعني التّسليم بـ(ب).

القيم: للقيم دور فعال في بناء الثقة بين المتحاورين و المبدعين و القرّاء، و تقوم براهينها على مبدأ التّعليل و من ثم الحتمية. فهي عناصر حجاجية جاهزة من جهة و موضع اتفاق و تسليم من جهة أخرى، ذلك أنّه لا خِلاف غالبا بين مضمونها و مكانتها. و القيم يستدعيها الباث لكي يَحمل المخاطَب على القيام بأفعال بدل أخرى، كما يستدعيها من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعلها مقبولة و مُؤيَدة من طرف الآخرين[28].

الهرميات/ الرتب: إن مراعاة الهرمية أمر ضروري في أي بناء حجاجي و لا تنبع تلك المراعاة إلا من تصوّر سليم من قبل المبدع لعلّه التّرتيب، إذ أن هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها.

و الهرمية / الرتّب نوعان:

- رتب مجردة: مثل اعتبار العدل أفضل من النافع.
- رتب مادية : محسوسة كاعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان و الإله أعلى درجة من الإنسان[29].

المواضع أو المعاني هي قضايا عامّة جدا أو قوانين (بلفظ ابن سينا، تولّد منها المقدمات الجدلية و المقدمات الخطبية، وهي عبارة عن مخازن للحجج تحدِّد خصائص الأمم و الجماعات الفكرية و الأدبية و غيرها و هي تنقسم إلى قسمين:

- مواضع مشتركة: يمكن تطبيقها على علوم مختلفة كموضع الأكثر و الأقل.
- مواضع خاصة: تكون وقف على علم بعينه لا تتعداه إلى غيره.

تعدّ المواضع من المنطلقات الّتي يستخدمها الخطيب طلبا للتّصديق و هي أنواع[30] :

- مواضع الكم: و هي المواضع التي تثبت أن شيئا أفضل من آخر لأسباب كمية، مثل الكل أفضل من الجزء، العدل والعفة أفضل من الشجاعة، كون العدل و العفة نافعين دائما في حين الشجاعة لا تصلح إلا في أوقات معينة.
- مواضع الكيف : تستمد هذه المواضع قيمتها من وحدانيتها مثل "الحق يعلو و لا يعلى عليه".
- مواضع الترتيب: كاعتبار السابق أفضل من اللاحق [مثل المبادئ و القوانين أفضل من الوقائع التي تنتج عن تطبيق تلك المبادئ]. علي أفضل من معاوية بحكم سابقته في الإسلام.
- مواضع الموجود: (مواضع المُفضَّل أو المُؤثَّر) وهي المواضع التي تقول بفضل الموجود و الراهن و الواقع على المحتمل و المكن أو غير الممكن، مثل عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

هذا و يتعين على الخطيب حسن انتقاء المقدمات و جعلها ذات فاعلية حجاجية باستحضار المتلقي عند الاختيار، و كذا الاعتماد على "التّأويل" الذي يساعد على صنع المقدمات الّتي تؤسس حججا في ذلك المقام بعينه. فللمقام من ناحية و للمتقبل من ناحية أخرى أهمية قصوى في اختيار منطلقات الحجاج

5 - مفهوم الحجاج في اللغة (من منظور O. Ducrot)

يتحدد مفهوم الحجاج عند "ديكرو" من خلال تعريفين أساسيين:

تعريفه لنظرية الحجاج في كتابه "Les mots de discours" سنة 1980، و تعريفه لمفهوم "الحجاج" في كتابه "L’argumentation dans la langue" سنة 1983. ففي تعريفه لنظرية الحجاج

[28] - المرجع نفسه، ص99.
[29] - عبد الله صوله، الحجاج أطره و منطلقاته، ص 310.
[30] - عبد الله صوله، المرجع نفسه، ص 312.

يقول "تتمثل هذه النظرية بالقول في الواقع أن وجود بعض المورفيمات في بعض الجمل على سبيل المثال "تقريبا" يعطي لهذه الأخيرة توجها حجاجيا أساسيا"[31].

أما في تعريفه لمفهوم الحجاج فيقول : "يقوم متكلم بالنسبة إلينا بعملية الحجاج عندما يقدّم ملفوظا م1(أو مجموعة ملفوظات)، الموجه (الموجهة) من أجل قبول ملفوظ آخر م2 (أو مجموعة أخرى)، و فرضيتنا أنه توجد في اللّغة قواعد توجّه هذا الطرح"[32].

من خلال هذين التعريفين يمكنا أن نستخلص ستّة أسس لنظرية الحجاج عند "ديكرو" نقوم بتفصيلها فيما يلي[33] :

- الحجاج عملية لغوية

تتم عملية الحجاج عند "ديكرو" داخل إطار اللّغة لا خارجه، أي أنها تحدث في مستوى السياق اللغوي للملفوظات، و ذلك بواسطة ملفوظ واحد على الأقل يلعب دور "حجة" أو بواسطة ملفوظين يلعب أحدهما دور حجة ، و يلعب الآخر دور نتيجة متولدة عن هذه الحجة.

- تحدث عملية الحجاج في إطار الجملة أو في إطار مقاطع قصيرة من الجمل :

اعتمد "ديكرو" في دراسة و تحليل مختلف ظواهر الحجاج على وصف أمثلة تمثل جملا معزولة أو مقاطع قصيرة من الجمل، و هي أمثلة افتراضية في الغالب، و ليست مدونة حقيقية مأخوذة من الكلام الفعلي للجماعة اللّسانية[34].

- تحتوي الجملة أو المقاطع الجملية على مورفيمات ذات وظيفة حجاجية

حدد "ديكرو"نوعين من المورفيمات ذات الوظيفة الحجاجية (اللغة الفرنسية) هما : "روابط الحجاج"، " المعددات" .

أ- روابط الحجاج

لقد انصب اهتمام "ديكرو" مع فريقه على دراسة روابط الحجاج في اللّغة الفرنسية و قد توجت هذه الأبحاث بنشر مؤلف تحت عنوان "Les mots de discours" سنة 1980 يتضمّن دراسة خمسة روابط حجاجية هي : D’ailleurs, eh bien , décidément, je trouve que je trouve, mais

ب- المعدّدات (مورفيمات تحديد الكمّية)

نشر "ديكرو" سنة 1980 دراسة أخرى حول ظاهرة "المعددات" في اللّغة الفرنسية تحت عنوان "Les échelles argumentatives" و في نفس الموضوع أيضا نشر بالتنسيق مع "J.C.Anscobre" سنة 1983 بحث تحت عنوان "L’argumentation dans la langue" و من جمة المعددات التي قام بدراستها: Peut-être, au minimum, au moins, peu, presque, à peine.

- تتمحور نظرية الحجاج حول دراسة المورفيمات الحجاجية

[31] - Ducrot : - Les mots du discours, Paris, Minuit, 1980., p 27.

[32] - ANSCOMBRE.Jean.Claude et Ducrot.Oswald, l’argumentation dans la langue, Pierre Mardaga. Bruxelles, 1983,p8.

[33] - لمزيد التفصيل، ينظر أمين بوشبوط، الروابط الحجاجية في اللغة العربية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 2009،2008، ص120، 121.

[34] - Ducrot : les mots du discours , p 67-73.

إن اعتبار الحجاج عملية سياقية ، يستدعي أن يقوم المتكلم بتسجيلها في ملفوظه بواسطة علامات لغوية حجاجية خاصّة ، مثلا روابط الحجاج و المعدّدات.

- عملية الحجاج عملية استراتيجية

إن اعتبار الحجاج عملية لغوية من جهة ، و عملية استراتيجية[35] من جهة أخرى ، يجعل منه : عملية استراتيجية لغوية في الوقت ذاته، تسمح للمتكلم بالتّأثير في المتلقي من خلال استخدامه أساليب و تقنيات لغوية معينة .

هذه التقنيات اللّغوية الحجاجية عرضها "ديكرو" من خلال افتراضه لمجموعة من المفاهيم الإجرائية الجديدة، الّتي سنعرض أهمّها لاحقا.

- هدف عملية الحجاج التأثير في المتلقي

يتم التأثير في "المتلقي" بواسطة ملفوظ "الحجة" أو ملفوظ "الحجة" و ملفوظ "النتيجة" معا، بغية إحداث تغيير في معتقداته أو سلوكاته أو هما معا.

6 عناصر الخطاب الحجاجي

يرى "ديكرو" أن الخطاب الحجاجي يتشكل من ملفوظين اثنين على الأقل ، حيث يقوم أحدهما بتعزيز الآخر، و يسمى الأول (م1) حجة، و الثاني (م2) نتيجة.

مثال 1 : الجو جميل ، لنخرج في نزهة .

(م1) الجو جميل ، (م2) لنخرج في نزهة ، فجمال الجو يعتمده المتكلم حجّة لإقناع المخاطب بالخروج في نزهة، فالمتكلم يقدّم هذا العنصر (م1) حجّة و دليلا لصالح النتيجة المقصودة (م2) و "لـ": رابط حجاجي..

ترتبط (م1) بـ (م2) وفق العلاقة الحجاجية ح ⟵ن حيث : ح : حجة ، ن : نتيجة

و يرى الدّكتور "أبو بكر العزاوي"[36] أن مفاهيم الحجّة و النّتيجة في التّصور السّابق لـ"ديكرو" خاصّة في كتابه "السلالم الحجاجية" عبارة عن أقوال، أمّا في تصوّره الجديد، فقد أعطى هذه المفاهيم دلالة واسعة ومجرّدة، فالحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر و الحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص ، أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك .

يمكن أن نضمر الحجّة في الخطاب الحجاجي ، و الشيء نفسه بالنسبة للنتيجة و الرابط الحجاجي الذي يربط بينهما و بالعودة إلى المثال السابق:

مثال 1:

- الجو جميل، لنخرج في نزهة (تصريح بالحجة و الرابط و النتيجة).
- الجو جميل، نخرج في نزهة (إضمار الرابط).
- الجو جميل (إضمار النتيجة التي يمكن استنتاجها من السياق).
- لنخرج في نزهة (إضمار الحجة).

[35] - Maingueneau.D : nouvelles tendances en analyse du discours, Paris, Hachette, 1991, p118.

[36] -أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة ضمن الحجاج : مفهومه و مجالاته، عالم الكتب الحديث، 2010، إربد، الأردن، ج1.، ص58.

و تتّسم الحجج اللغوية بعدة سمات لعل أهمها[37] :

أ- أنها سياقية: إن السياق هو الذي يصير عنصرا دلاليا ما حجة ، و هو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة قد تكون حجة أو نتيجة ، أو قد تكون غير ذلك بحسب السّياق.

ب- أنها نسبية: ذلك أن لكل حجّة قوة حجاجية معينة، فهناك الحجج القوية و الحجج الضعيفة و الحجج الأوهى و الأضعف.

ج- أنها قابلة للإبطال: أي قابلة للدّحض، فالحجاج اللّغوي عموما نسبي مرن بخلاف صرامة البرهان و حتميته.

7 - مفهوم السلم الحجاجي

لتحديد مفهوم السّلم الحجاجي بدقّة يجب الوقوف عند ثلاثة مفاهيم أساسية هي:

1.7 - الصنف الحجاجي / الفئة الحجاجية

يشكل ملفوظين (م1)، (م2) صنفا حجاجيا عندما يعتبر المتكلم (م1) ، (م2) حجتين موجهتين نحو النتيجة (ن) نفسها .

و يمكن توضيح ذلك بالبيان التالي:

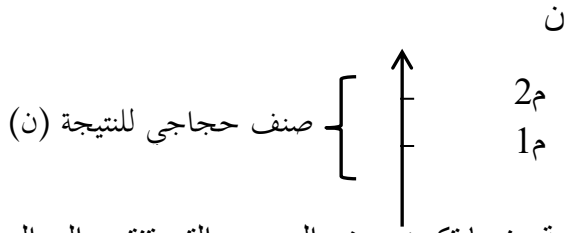

2.7 - القوة الحجاجية

تنشأ القوة الحجاجية عندما تكون بعض الحجج - التي تنتمي إلى الصنف الحجاجي نفسه- أقوى من بعض في توجهها نحو النّتيجة .

فإذا كان ملفوظين (م1)،(م2) ينتميان إلى الصنف الحجاجي نفسه، فإنه يحكم بأن الحجة (م2) أقوى من الحجة (م1) إذا كان التوجه الذي يحدثه (م1) نحو النتيجة (ن) يستلزم التّوجه الذي يحدثه (م2) نحو (ن) و العكس ليس صحيحا[38].

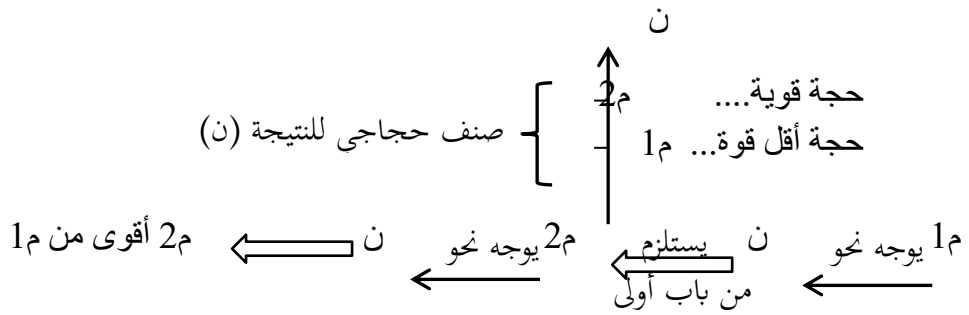

[37] - المرجع نفسه، ص59.

[38] -ينظر : Ducro : - Les échelles argumentatives, Paris, Minuit, 1980 , p18-20.

3.7 - مراتب الحجج /السلم الحجاجي

إن الحجج التي تنتمي إلى الصنف الحجاجي نفسه و التي تنتظم فيما بينها بواسطة علاقة قوية تشكّل "سلما متدرجا" (السلم الحجاجي) تحتل فيه كل حجة مرتبة معينة بحسب قوتها الحجاجية[39].

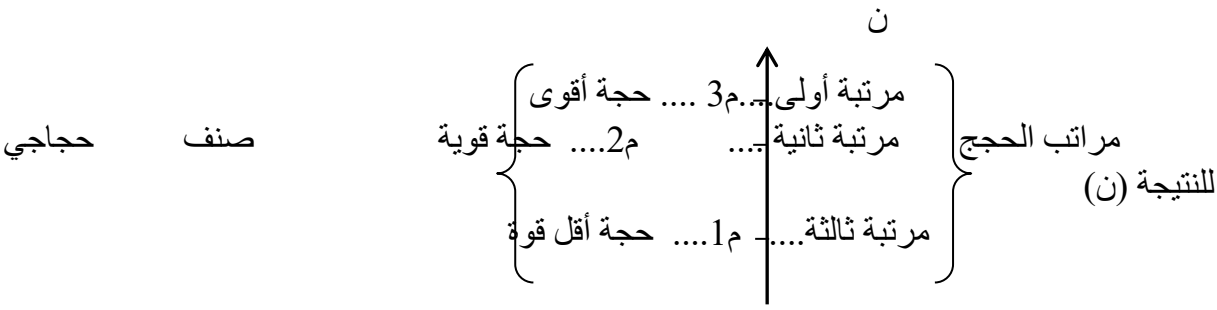

4.7 - قوانين السلم الحجاجي : و أهم هذه القوانين ثلاثة:

1- قانون النفي

إذا كان قول ما مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفية (أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة[40].

و بعبارة اخرى، إذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحدّدة بواسطة (ن)، فإن (أَ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة (لا -ن).

-2- قانون القلب

يعدّ هذا القانون تتميما لقانون النفي، و مفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الاثباتية .

فإذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة.

و نوضح ذلك بالمثالين[41] : ن لان

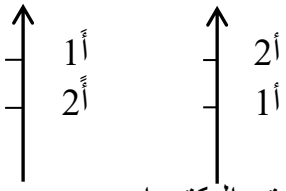

أ- حصل زيد على الماجستير و حتى الدكتوراه.

ب- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل حتى على الماجستير.

[39] - ينظر MOECHLER. J. et REBOUL. A. : Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Editions du seuil, octobre, 1994, p281.

[40] - Ducrot, Les échelles argumentatifs, minuit, Paris, 1980, p10.

[41] - ينظر أبو بكر العزاوي ،الحجاج في اللغة، ص61.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته العلمية.

-3- قانون الخفض[42]
يسميه "ديكرو" يقانون الانخفاض ، و معناه أن "القول (أ) المنتمي إلى قسم حجاجي تحدده (ن) يكون نفيه (أ) أقل منه"[43].

فعندما نقول مثلا: ليس الجو باردا فإنّنا نكون في مرتبة أقل، يكون فيها الطقس أقل من البارد.

و ذلك ما يوضّحه المخطط التّالي:

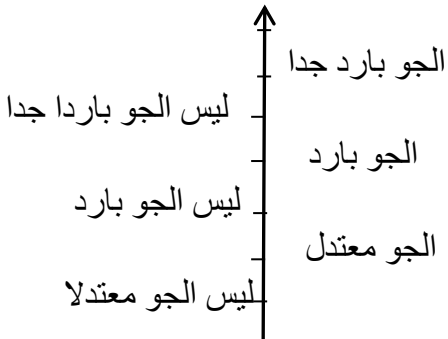

و لذلك اقترح "طه عبد الرحمان" صياغة تقريبية لهذا القانون : "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها."[44]

8 - التّوجه الحجاجي

إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي[45]، الذي يمكن اعتباره المسلك الذي تسلكه الحجة نحو نتيجة معينة، و التوجه الحجاجي قد يكون صريحا أو مضمرا.

أ- الصّريح: إذا كان القول أو الخطاب معلّما أي مشتملا على بعض الرّوابط و العوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات و التعليمات التي تتعلق بالطّريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب.

ب- المضمر: إذا كان القول غير معلّم، فإن التعليمات المحدِّدة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذّاك من الألفاظو المفردات بالإضافة إلى السّياق التداولي و الخطاب العّام.

---

[42] - يوضح قانون الخفض Loi d'abaissement الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة : 'moins que' فعندما نستعمل جملا من قبيل: الجو ليس باردا، فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد شديد أو قارس و سيؤول القول : إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار، و تتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الناتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، و لا يتموقع أيضا في سلمية تدريجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية. ينظر الحجاج في اللغة، ص62.

[43] - Ducrot, Les échelles argumentatives, p32.

[44] - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المؤسسة الحديثة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 1987، ص 105.

[45] - ينظر أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص62.

1.8 أنواع التّوجه الحجاجي

إن الحجة تكتسي بالنسبة إلى النتيجة قيمة معينة، إذ أنها تعززها أو تدحضها. و إذا كان الملفوظ يحتوي أكثر من حجة، فإنّ هذا الحجج إمّا أن تشترك في توجهها تعزيزا أو دحضا، و إما أن تتباين فيكون بعضها معززا و البعض الآخر داحضا أي معززا للنتيجة المتعارضة مع النتيجة الأصلية[46].

1- التّوجه نحو نفس الاتجاه **Co orientation**

يكون التوجه نحو نفس الاتجاه عندما تسمح الحجتان أو أكثر بالنّتيجة نفسها أي تعززان نفس النتيجة، و تسمى هذه الحجج حججًا متساندة. و من الروابط التي تحقق هذا التوجه الرابط الحجاجي "ثم إن".

- هيا بنا إلى الشاطئ فالجو جميل، ثم إن الحر شديد.

نتيجة ن : الذهاب إلى البحر

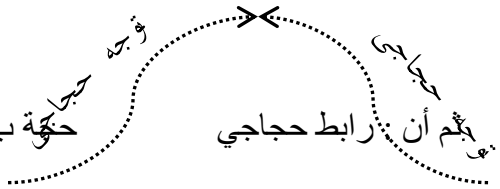

2- التّوجه المتضاد **Contre- orientation**

يكون التّوجه توجها متضادا إذا اتجهت الحجج إلى نتيجتين متضادتين، و تسمى هذه الحجج حججا متعاندة.

و من أمثلة الروابط الحجاجية التي تحقق هذا الاتجاه الرابط الحجاجي "لكن":

هذه السيارة جيدة لكنها باهظة الثمن.

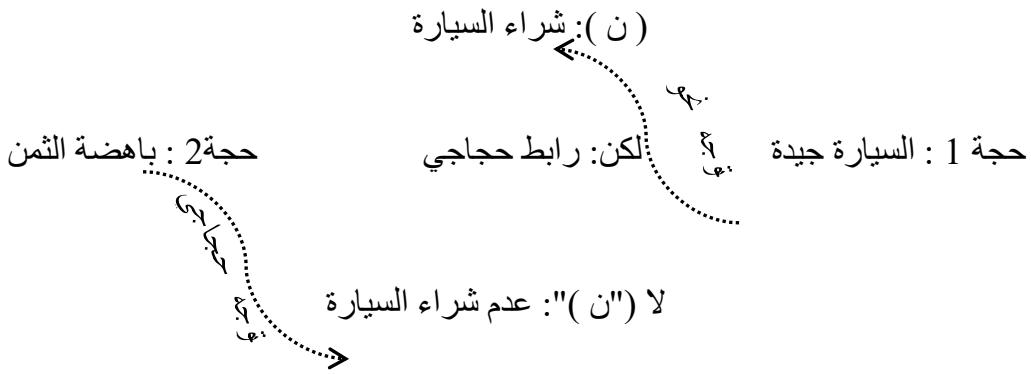

[46] - ينظر - الحجاجيات اللسانية عند انسكومير و ديكرو، عالم الكرن الكويت، مجلد 34، ع1، سبتمبر 2005.، ص228.

ثانيا :الجانب التطبيقي

انطلاقا من الأسس النظرية والأدوات الاجرائية التي توفرها نظريات الحجاج ،المذكورة آنفا سنحاول تحليل رسالة من معاوية بعث بها إلى علي - ضمن وفد من اتباع معاوية - ورد علي عليه.

1 وفد معاوية إلى علي[47]

"بعد أن انصرف القوم عن معاوية، بعث إلى علي رضي الله عنه وفدا يتشكل من : حبيب بن مسلمة الفهري، و شرحبيل بن السمط و معن بن السمط و معن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا على علي.

1.1 خطاب حبيب بن مسلمة و ردّ علي

قال "حبيب" بعد أن حمد الله و أثنى عليه:

"...أمّا بعد فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله عزّ و جلّ و ينيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلتم حياته و استبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه رضي الله عنه، فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله نقتلهم به ثم اعتزل أمر النّاس فيكون أمرهم شورى بينهم، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم."

إنّ الملفوظ "إن عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله عزّ و جلّ و ينيب إلى أمر الله تعالى" يتجه نحو نتيجتين اثنتين:

ن1: عثمان أصلح لتولي الخلافة لأنه مهدي ، فاسم المفعول[48]"مهدي" يحقق بعدا حجاجيا من خلال توجيه المتلقي إلى قبول النتيجة المتوخاة، فمهدي أي على هدى.

نتيجة 1: عثمان أصلح للخلافة ← (لأنّه) ← ح1: خليفة مهدي

ح2: يعمل بكتاب الله و ينيب إلى أمره.

أمّا النتيجة الثانية فمضمرة: علي و أصحابه ليسوا على الهدى و لا يحبون الحق لأنهم : "استثقلوا حياة المهدي و استبطأوا وفاته و اعتدوا عليه و قتلوه".

نتيجة 2 (مضمرة): علي ضال ← (لأنّه) قتل عثمان (المهدي) أي الذي كان على هدى.

الملفوظ م 1: ← ن 1.

ن2. حيث أن النتيجة ن2 تناقض تمامًا النتيجة ن1.

عثمان	علي
- خليفة مهدي. - يعمل بكتاب الله.	- ضال. - يخال الشرع.

[47] - تاريخ الطبري، ج3، ص 80. أبو الفدا الحافظ ابن كثير، البداية و النهاية ، مكتبة المعارف، بيروت 1992،ج7، ص 259.

[48] - اسم المفعول صفة مشتقة من الفعل المضارع المبني للمجهول المتصرف للدلالة على الحدث (الفعل) و من عليه (مفعولا) دلاللة تفيد الحدوث في الغالب دون الثبوت. ينظر على سبيل المثال : سيف الدين طه الفقراء، المشتقات الدالة على الفاعلية و المفعولية، دراسة صرفية دلالية احصائية، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط1، 2005، ص40.

- مقتول مظلوم.	- قاتل ظالم.

إن قول "حبيب" يخدم نتيجتين اثنتين هما :"قُتِل عثمان مظلوما، و قاتله "علي" ظالم و أصحابه.

إن هاتين النتيجتين تأسِّسان شرعية مطلب معاوية و أصحابه و هذا المطلب هو: "اعتزال علي أمر الناس".

إن النتيجتين ن1، ن2، توظفان كحجتين تؤديان بالضرورة إلى نتيجة وجوب اعتزال علي.

ن1 ح1 ن3: وجوب اعتزال أمر الناس.

ن2 ح2

"فيكون أمرهم شورى بينهم يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم".

إن مقتضى دلالة هذا القول: أنّ النّاس لم يستشاروا في أمر "عليّ" و بالتّالي لم تكن لهم حرية اختيار من يتولى أمرهم و هذا فيه طعن مباشر في شرعية خلافة "عليّ" لأنها لم تقم على مبدأ الشورى، و عليه يجب أن يتنحى "عليّ" و يترك الناس يولون من أجمع عليه رأيهم .

إن هذا الملفوظ يخدم نتيجة مضمرة هي: النّاس قد أجمعوا أمرهم و اختاروا معاوية للخلافة.

من خلال استقراء الحجج الواردة في خطاب "حبيب" و النّتائج و الحركات الحجاجية نجدها تؤدي كلها إلى النتيجة المضمرة التي ذكرناها "الناس اختاروا معاوية خليفة".

ح1،ح2،ن1،ن2،ن3 ن: النّاس اختاروا معاوية.

فأجابة علي : "و ما أنت لا أم لك و العزل و هذا الأمر ؟ اسكت لست هناك و لا بأهل له".

يردّ "عليّ" على كلام "حبيب" بسؤال بلاغي إنكاري موظفا آداة الاستفهام "ما"، إن قوله "ما أنت" يعني ما شأنك و ما دخلك؟ كون آداة الاستفهام "ما" تستعمل لغير العاقل فهو لا يسأل عن شخص حبيب و إنّما عن شأنه، و علاقته بأمر الخلافة و الشورى و طرحه لمطلب العزل، فهو ينكر عليه قوله و يوبخه عل ذلك لحمله على الخجل و الارتداع و سحب كلامه.

يأتي فعل الأمر "اسكت" ليعضد سلطة "عليّ" كونه خليفة أمره مطاع و خصمه فاقد للسلطة كونه وضع نفسه في غير مكانها، و هذا مقتضى قول علي "لست هناك و لا بأهل له" و النتيجة : مطلب الاعتزال مرفوض لا من حيث المضمون فقط و لكن حتى من ناحية الشكل كونه صادر عن شخص غير مؤهل أصلا لتقديم هذا المطلب.

ن: لا اعتزال حجة: عدم أهلية حبيب لطرح هذا المطلب.

إن الإمام "علي" يبطل دعوى حبيب و ينقضها من الأساس هذا ما جعل حبيب يلجأ إلى التهديد كنوع من أنواع رد الاعتبار فقال : "و الله لتريني بحيث تكره".

إن "حبيب" يسم ملفوظه بأعلى أنواع التأكيد (القسم) بالإضافة إلى "اللام ونون التوكيد الثقيلة" في محاولة دفع الخصم للاعتراف بمكانته، من خلال خلق معادل لها، فهو لم يدفع حجّة الإمام "علي" بإثبات أنه أهل

لتقديم مطلب التّنحي و الاعتزال ، بل راح يخلق لنفسه مكانة تعادل مكانة أهل الرأي و أصحاب الحل و العقد، و هي مكانة أهل السّيف و الحرب.

هذا ما جعل الإمام "علي" يردّ عليه باحتقار و ازدراء بقوله : "و ما أنت و لو اجليت بخيلك و رجلك، فما أنت من أهل الرأي و الشورى و لا من أهل السّيف و الحرب و لا مكانة لك في الأمرين".

النتيجة: الحجج:

لا مكانة لـ"حبيب من مسلمة". ح1: ليس من أهل الحل و العقد و لا من أصحاب الحكمة و الرأي و ليس من أصحاب العلم و الفقه.

ح2: ليس من أصحاب السّيف و الحرب.

فـ"عليّ" لم يأخذ بتهديد "حبيب" مثلما لم يأخذ قبل ذلك بطلبه (الاعتزال)، كل ذلك لعدم أهلية حبيب.

2.1 - خطاب شرحبيل و ردّ علي

فقال شرحبيل بن السّمط : "إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلّا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبته به؟".

إن مطلب الاعتزال أو الحرب، هو مضمون كلام رسل معاوية و هم يعبّرون بالضرورة عن رأي معاوية كونهم أتباعه و رسله، و كما أسلفنا سابقا -خطاب التّابع يدور في فلك خطاب المرجع لا يخرج عن الخطوط المرسومة له-، و بذلك لمس الإمام "علي" ارتفاع سقف مطالب خصومه، فبعدما كانوا يطالبون بالقصاص أصبحوا الآن يطالبون باعتزال "علي" أمر النّاس.

قال "علي": "نعم لك و لصاحبك جواب غير الذي أجبته به."

2 - جواب علي لرسل معاوية

حمد علي الله و أثنى عليه ثم قال:

"أمّا بعد: فإن الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه و سلم بالحق فأنقذ به من الضلالة و انتاش به من الهلكة و جمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه و قد أدى ما عليه -صلى الله عليه و سلم- ثم استخلف الناس أبا بكر رضي الله عنه و استخلف أبو بكر عمر رضي الله عنه فأحسنا السيرة و عدلا في الأمّة و قد وجدنا عليهما أن توليا علينا و نحن آل رسول الله صلى الله عليه و سلم فغفرنا ذلك لهما ، و ولي عثمان رضي الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليه فساروا إليه فقتلوه ثم أتاني الناس و أنا معتزل أمورهم فقالوا لي : بايع، فأبيت عليهم، فقالوا لي : بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك، و إنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني و خلاف معاوية الذي لم يجعل الله عزّ و جلّ له سابقة في الدين و سلف صدق في الإسلام طليق بن طليق، حزب في هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّ و جلّ و لرسوله صلى الله عليه و سلموا للمسلمين عدوا هو و أبوه حتى دخلا الإسلام كارهين، فلا غرو إلا خلافكم معه و انقيادكم له و تدعون آل نبيكم صلى الله عليه و سلم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم و لا خلافهم و لا تعدلوا بهم من الناس أحدا ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عزّ و جلّ و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و إماتة الباطل و إحياء معالم الدّين، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي و لكم و لكل مؤمن و مؤمنة و مسلم و مسلمة".

يشكّل ردّ "علي" كرّم الله وجهه ردا قاطعا فاصلا، من خلال توظيف استراتيجية "المكاشفة" و عرض كل الأوراق على الطاولة، فقد بات جليا أن معاوية و أتباعه لا نية لهم في الصّلح و لا رغبة في المبايعة، و كل ما يسعون إليه هو تبرير خروجهم عن الإجماع بحجة الثأر لعثمان. لذلك راح المتكلم (علي) يعرض المشكلة

من أصلها وفق تقنية السرد التاريخي للوقائع متوخيا في ذلك تحقيق نتيجتين اثنتين متعارضتين في الاتجاه، لكن إحداهما تعضد الأخرى و تسندها و لا تقوم واحدتهما إلا بقيام الثّانية، و هاتين النتيجتين هما :

ن1: إثبات أحقية علي بالخلافة.
ن2: إبطال شرعية ما يقوم به معاوية .

لأجل ذلك قام المحاج (علي) بمحاولة تسييج المتلقي لضمان انخراطه في المسار الحجاجي الذي يسعى إليه من خلال تقديم مجموعة وقائع و حقائق تاريخية و عقدية راسخة تضمن سلامة منطلقات و مقبولية المقدمات و هذه الحقائق هي :

ح1: حقيقة الرسالة المحمدية و حقيقة تأدية الرسول صلى الله عليه و سلم للأمانة و تبليغ الرسالة.

ح2: استخلاف الناس أبا بكر و اجتماعهم عليه.

ح3: استخلاف أبو بكر عمر رضي الله عنهما.

ح4: أبو بكر و عمر أحسنا السّيرة و عدلا في الأمة.

ح5: علي من آل بيت الرسول صلى الله عليه و سلم و هو الأحق بالخلافة.

ح6: رغم أن عليا وجد على الخليفتين إلّا أنّه لم يخرج عليهما و لم يرفض مبايعتهما.

ح7: تولي عثمان و إعقابة الناس عليه أشياء فعلها.

ح8: قتل النّاس عثمان نتيجة ما عابوه عليه .

ح9: اعتزال عليّ أمر الناس و مجيئهم إليه و مطالبته بالمبايعة.

ح10: رفض عليّ البيعة و لم يقبلها إلا بعد إلحاح الناس ومخافة تفرّق الأمّة.

إن الحقيقة الأولى: هي حقيقة عقدية (حقيقة النبوة) و هي ركن من أركان الإيمان و بالتّالي لا يمكن للمتلقي إنكارها أو التشكيك فيها، فهي من باب اليقين و يمكن اتخاذها مبدأ ينطلق منه المسار الحجاجيو يكتسب صرامة و مقبولية لدى المتلقي بحيث يجعل ما يليها يتّسم بنفس القوة الحجاجية التي تتميّز بها، فما الحجاج في نهاية المطاف إلا نقل المقبولية التي تتسم بها المقدمات نقلها إلى النتائج.

أمّا الحقيقة الثانية: فينبثق عنها قانون سياسي عام في اختيار الحاكم في الاسلام هو : اختيار النّاسو إجماعهم على شخص معين. و هذه الحقيقة يُوظِّفها المتكلِّم (عليّ) حجّة دامغة على صحةّ إمامته كون الناس اختاروه و بايعوه، كما تعتبر حجّة (نقض) كون النّاس لم يختاروا و لم يبايعوا معاوية.

الحقيقة الثالثة: ينبني عنها الأصل الثاني في اختيار الحاكم و هو: عهد الخليفة السّابق. و يوظّفه المتكلم حجّة (نقض) ثانية كون معاوية لم يعهد إليه الخليفة السابق "عثمان" بالخلافة. و بما أن : النّاس لم يبايعوا معاوية و عثمان لم يعهد إليه فلا حق له في ادعاء الخلافة.

أمّا الحقيقة الرابعة: فتقتضي أن عثمان لم يعدل و لم يحسن السيرة. و توظّف هذه الحقيقة كحجة إثبات لبراءة علي من دم عثمان.

أمّا الحقيقة الخامسة و السادسة: فتثبتان أحقية علي في الخلافة كونه من آل البيت و مع ذلك لمن يخرج على الخليفتين.

و توظف كحجة على عدم شرعبة خروج معاوية . فصاحب الحق لا يجوز له الخروج عن الإمام فما بالك بمن لا حق له.

أمّا السّابعة و الثّامنة و التّاسعة: فتوظف كحجج على براءة علي من دم عثمان. فعلي قد اعتزل أمر النّاس، و هم من قام بقتل عثمان لأشياء فعلها و عابوها عليه. كما توظّف كذلك لدحض ادعاء معاوية (قتل عثمان مظلوما).

أمّا الحقيقة العاشرة: فهي حجة و دليل على شرعية إمامة علي استنادا على المبدأ الأول من مبادئ اختيار الحاكم كون الناس اختاروه دون رغبة منه في ذلك و لم يدفعه إلى قبولها إلّا الخوف على مصلحة الأمة.

إنّ قوة المقدمات الواردة في شكل وقائع تاريخية و حقائق عقلية تقيم العلاقات بين هذه الوقائع إضافة إلى متانة البناء الاستدلالي الصّارم يعطيان المسار الحجاجي الذي سلكه المتكلم صلابة برهانية و قوة اقناعية تجعل من الصعب على المتلقي رفض دعوى المتكلم و بالتّالي يجد نفسه محاصرا بضرورة الاقتناع و إجابة المتكلم إلى ما يطلب.

أمّا النتيجة الثانية التي يهدف إليها المتكلم في خطابه فهي إبطال شرعية ما يدعيه معاوية -كما سلف ذكره- . و تتم عملية الإبطال -إضافة إلى ما سبق ذكره من حجج- انطلاقا من حقائق ثابتة تاريخيا هي:

ح11: إجماع الناس على علي باستثناء رجلين (طلحة و الزبير) نكثا بعد مبايعتهما، و خلاف معاوية.

ح12: معاوية ليست له سابقة في الدين و لا قدم صدق في الإسلام.

ح13: معاوية طليق بن طليق.

ح41: معاوية و أبوه حزب في قتال المسلمين.

ح15: معاوية و والده (أبو سفيان) من أشد أعداء الدين حتى دخلا الإسلام كارهين.

إن هذه الحقائق ترسم مسارا حجاجيا استدلاليا يمكن أن نكشفه فيما يلي :

ح11: تثبت أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة لإجماع الناس عليه، و خروج طلحة و الزبير نكث بالعهد كونهما قد بايعا قبل ذلك، و بما أن خروجهما غير شرعي فالحكم ذاته ينطبق على خروج معاوية.

ح12 و ح13: معاوية لم يكن من السابقين في الإسلام و لا ممن حسن إسلامهم و بالتّالي لا تجوز له الخلافة استنادا إلى العرف السياسي العام: الطلقاء لا تحل لهم الخلافة و لا تعرض فيهم الشورى.

إنّ المتكلّم يوظّف حقيقتين (13و14) كحجّة نقض لادعاء معاوية.

أمّا ح14 و ح15: فتُوظَّفَان كحجة على فضل الإمام علي و مكانته مقارنة بمعاوية كما أنهما حجة لما يلي من الكلام.

إنّ من كانت هذه صفاته و أفعاله ليس من المستغرب أن يخالف الشرّع و يشق عصا الطاعة و لكن العجب فيمن اتبعوه. و النتيجة: لا يجوز مخالفة آل النبي صلى الله عليه و سلم، و لا يجوز أن يعدل بهم من النّاس أحد.

فإذا كان فضلاء النّاس لا يعدلون آل النبي فما بالك بمن لا فضل لهم.

فضلاء النّاس ـــآل النبي صلى الله عليه و سلم (علي)
عامة النّاس ـــ معاوية
سلّم التفاضل بين الأشخاص

إن المتكلم يوظف (ح11، ح12، ح13 و ح14) لإثبات عدم أحقية معاوية في الخلافة و عدم جواز اتباعه، و ذلك ما يؤكده مقتضى قوله : "ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عزّ و جلّ و سنّة نبيّه صلى الله عليه و سلم و إماتة الباطل وإحياء معالم الدين...".

علي	معاوية
- يدعو إلى كتاب الله و سنّة نبيه. - يدعو إلى إماتة الباطل. - يدعو إلى إحياء معالم الدين.	- يخالف كتاب الله و سنة نبيه. - يدعو إلى الباطل. - يميت معالم الدين.

و النتيجة : وجوب اتباع علي و هجر معاوية.

على أن الإمام عليّ لم يحكم على أتباع معاوية بالكفر أو الشّرك و ذلك مقتضى قول: "أقول قولي هذا و أستغفر الله لي و لكم و لكل مؤمن و مؤمنة و مسلم و مسلمة". فهو لم ينف عنهم وصف الإيمان و لا الإسلام.

و إلى ذلك فإن رسولا معاوية لم يجدا ما يردان به على خطاب علي، فلا سبيل إلى إنكار الحقائق و لا دحض الوقائع و لا التشكيك في قوة البناء الحجاجي و إلزامية النتائج المنبثقة عن قوة مقبولية المقدمات و درجة يقينها، لذلك لجآ إلى الذريعة المألوفة في خطاب المعارضة فقالا : "أشهد أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما".

فكان رد علي: "لا أقول إنه قتل مظلوما و لا إنه قتل ظالما".

إنّ إدراك علي مغزى خطاب معارضيه المبني على ذريعة مقتل عثمان جعله يختار جوابا يمثل قطعا لمسار حجاجي متوقع، يراد من خلاله اكتساب مشروعية المعارضة، فلو أجاب بأن عثمان قتل مظلوما لكان ملزما بقبول طلب الثّأر و من هنا تأسيس شرعية المعارضة، و لو أجاب بأنّه لم يقتل مظلوما لاقتضى قوله أن يكون عثمان ظالما و ذلك موقف لم نلمسه من علي في حق عثمان و هو موقف يفتح الباب مشرعا أمام تأويلات و تفسيرات عدّة تقود حتما إلى تفرّق الشّمل و تأسيس لمبدأ الخروج.

لذلك شكّل جوابه هدما استباقيا لمسار حجاجي يوشك أن يتأسس انطلاقا من السؤال الإشكالي الذي طرحه خصماه.

إنّ قطع المسار الحجاجي جعل رسولا معاوية يصرحان مباشرة بالنتيجة التي كانا ينويان استخلاصها من إجابة المتلقي "علي" ممّا يضمن لهما إثبات صحتها و قوتها كون الخصم اعترف بها و أقام استدلالا على صحتها.

و لكون المسار الحجاجي لم يتم لفطنة المتلقي و عدم تعاونه في ذلك، فقد لجآ إلى التصريح : "من لم يزعم أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء".

إن التبرأ يقتضي أن المتبرأ منه ذنب عظيم و جريرة كبيرة. من لم يقل بقتل عثمان مظلوما فهو مذنب مجرم إن لم نقل (كافر)، إذ المسلم في الأصل يتبرأ من الكفار.

إن قول رسولا معاوية و انصرافهما جعل عليا يرد بقوله :" إِنَّكَ لَا تُسمِعُ ٱلموتَىٰ وَلَا تُسمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّواْ مُدبِرِينَ)80) وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلعُمي عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسمِعُ إِلَّا مَن يُؤمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسلِمُونَ .[49]" (81)

فتوظيف المتكلم للحجّة الجاهزة المتمثلة في حجة الشّاهد (النّص القرآني) كونها حجة فاعلة في تحريك الخطاب و دفع سيرورته نحو تحقيق المبتغى و حمل المخاطب على الإذعان و إقامة الحجة عليه من خلال اللجوء إلى الشاهد الذي يمثل أعلى درجات الحجيّة في هذا المقام ألا و هو النّص القرآني لما له من حضور قطعي حاسم في ذهن طرفي التّواصل -المحاج و المحجوج- على حدّ سواء.

إن توظيف هذا النّص الشّاهد دليل على أن الإمام علي قد اقتنع بعدم جدوى محاورة القوم ومحاجتهم، فهم مصرون على غيهم و ضلالتهم كأنهم موتى أو صم لا يسمعون و عمي لا يبصرون.

جدول يبيّن أهم الحقائق الّتي وظّفها الإمام علي كحجج و توجّهها نحو النّتائج المتوخاة:

الحقائق (الحجج)	النتيجة ن1 (أحقية علي)	النتيجة ن2(أحقية معاوية)	نتائج أخرى
- ح1	-	-	تعتبر مبدأ و منطلقا لنجاعة الحجج التي تأتي بعدها
- ح2	إثبات	إبطال	
- ح3	-	إبطال	
- ح4	-	-	
- ح5	إثبات	إبطال	
- ح6	إثبات	إبطال	إثبات براءة علي من دم عثمان
- ح7	-	إبطال	عدم جواز الخروج عن الإمام
- ح8	-	-	
- ح9	-	-	
- ح10	إثبات	-	● إثبات براءة علي من دم عثمان
- ح11	إثبات	إبطال	
- ح12	-	إبطال	
- ح13	-	إبطال	
- ح14	-	إبطال	إبطال شرعية الخروج عن الإمام
- ح15	-	إبطال	
			إثبات عدم جواز مخالفة آل النبي - عدم جواز إتباع معاوية

[49] - 1) سورة النمل، الآية 80-81.القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، اليمامة للطباعة و النشر و التوزيع، ط3، 1403ه، 1983م.

خاتمة :

1-شكّل (لزوم البيعة) الإطار المرجعي الذي انبثقت عنه جل خطابات عليّ و أتباعه، و قد ارتبط هذا الإطار بأصل عقدي (لزوم الإجماع) و لزوم (طاعة الإمام)، و أصل عرفي هو (إلزامية رأي أهل الحل و العقد)،و أصل سياسي هو (شروط الإمامة)، و أصل أخلاقي اجتماعي هو (الصفات و الفضائل الواجبة في حق الإمام).

2-و قد شكلت هذه الأصول الأربعة مخازن متح منها المحاج و نحت حججه و بنى مساراته الحجاجية، تعضده في ذلك سلطة المؤسسات الشرعية و قوتها، فكان خطابه خطاب سلطة آمرة تستمد قوّتها من شرعية دينية مهيمنة، هذه السلطة تلوّح باستخدام القوة المادية، لا تُفاوِض و لا تَتَنَازَل، كما تتعدد الأصوات في خطاباته، فهناك صوت الإمام و صوت الفقيه و السياسي، و صوت الجماعات ذات السلطان (المهاجرونو الأنصار) و كل هذه المؤسسات تخدم في النهاية الإطار المرجعي (لزوم البيعة).

3-إنّ ثقل المؤسسات الثّاوية خلف خطاب الإمام علي جعلت من الصعب عليه الدخول في مفاوضات أو تقديم أي نوع من أنواع التنازلات على اعتبار شرعية مطلبه من جهة ، و خطورة ما يرمي إليه الخصم من جهة أخرى، مما شكل عائقا جوهريا في تحقيق المصالحة ، أو على الأقل تقريب وجهات النظر بين الطرفين مما أفقد عليًّا المرونة السياسية في التعاطي مع الأحداث.

4-شكّلت مقولة (قتل عثمان مظلوما) شعارا حملته المعارضة السياسية المتمثلة في معاوية و اتباعه، و هذه المقولة اتخذت ذريعة لرفض أي مبادرة و تفنيد أي خطاب للسلطة. كما شكّلت حجّة جاهزة تحولت إلى نوع من الأيقونات في خطاب المعارضة.

5-شكّلت قوة المؤسسات التي يستند عليها الخصم "علي" ثقلا رهيبا في وجه خطاب معاوية مما دفعه إلى محاولة النيل من هذه المؤسسات من خلال النّيل من شخص الخصم، لذلك لجأ إلى توظيف استراتيجية الطعن و الاتهام لتقويض شرعية السلطة.

6-لجأ خطاب المعارضة إلى تقنية استثارة العواطف لبناء مسارات حجاجية اتسمت في أغلب الأحيان بالنّمطية و التكرار (ادفعوا إلينا قتلة عثمان... نجيب الدعوة)، إضافة إلى ضحالة الحجج التي لم ترق في أغلب الأحيان إلى مستوى صرامة و قوة خطابات الخصم، و لم تكن قادرة على دفع المتلقي إلى بناء مسارات تأويلية تضمن انخراطه ضمن أطروحة الخطاب المعارض.

7-لعل ما يحسب كنقطة إيجابية لخطاب المعارضة –من الناحية التقنية على الأقل- هو جرأتها في تحدي قوة المؤسسات خاصّة الدّينية و بالتّالي التّأسيس لنوع من (الخطابات السّياسية) القادرة على المناورة و استثمار نقاط الظّل و الوقوف في وجه التيار العام، فلا المؤسسة الدينية و لا هيمنة الخطاب المنبثق عنها صارا قادرين على تحقيق الإجماع و الحمل على الاقتناع.

8-إنّ خطابات المعارضة تفتح أعيننا على واقع جديد هو واقع اللّعبة السياسية (الإسلام السياسي)، حيث المصالح و التوازنات الحيوية هي المؤسسات المهيمنة الجديدة و هي المصدر الرّئيس للصراع و السلطة.

9-إنّ تعاطي المعارضة (معاوية) مع خصم بمكانة (علي بن أبي طالب) جعل مناوراتها و استراتيجياتها مكشوفة، فقد أدرك علي ما يرمي إليه معاوية و قدر خطورة ما ينجر عن ذلك من فتن و حروب و تأسيس

لنظام سياسي جديد يبتعد عن قيم إسلام الدّعوة و مبادئه و مثله، كل ذلك خلق حواجز حقيقية أمام إمكانية التقارب و التوافق بين الطرفين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. قسطنطين سلافاسترو، منطق السلطة و دينامية الخطاب السياسي، تر عبد الإله بوحمالة، مقال ضمن موقع: الحوار المتمدن، http://www.alhewar.org/
2. محمد ناصر الخوالدة، مفهوم الخطاب كوسيلة اتصالية، مقال ضمن الموقع الالكتروني: http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=31070 بتاريخ: 13-02-2010.
3. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2006
4. ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407ه.
5. Chaim Perlmen et Lucie Olbrecht- Tyteca : Traité de l'argumentation, 5éme édition, éditions l'université de Bruxelles, 1992.
6. الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النص، ع 14، ديسمبر 1999، دار الحكمة .
7. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس،2001.
8. محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، م28، ع3، مارس 2000، الكويت.
9. - عبد الله صولة، - الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس،2001.
10. حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج مجلة التربية، البحرين، ع15، 2005.
11. جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب، القاهرة، دط، دت.
12. Ducrot : - Les mots du discours, Paris, Minuit, 1980..
13. ANSCOMBRE.Jean.Claude et Ducrot.Oswald, l'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga. Bruxelles, 1983.
14. ينظر أمين بوشبوط، الروابط الحجاجية في اللغة العربية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 2009،2008.
15. Ducrot : les mots du discours , p 67-73 - Maingueneau.D : nouvelles tendances en analyse du discours, Paris, Hachette, 1991.
16. -أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة ضمن الحجاج : مفهومه و مجالاته، عالم الكتب الحديث، 2010، إربد، الأردن، ج1.
17. MOECHLER. J. et REBOUL. A. : Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Editions du seuil, octobre, 1994.
18. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المؤسسة الحديثة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 1987.
19. - الحجاجيات اللسانية عند انسكومير و ديكرو، عالم الكرن الكويت، مجلد 34، ع1، سبتمبر 2005.
20. الطبري، ج3، ص 80. أبو الفدا الحافظ ابن كثير، البداية و النهاية ، مكتبة المعارف، بيروت 1992،ج7.

21.سيف الدين طه الفقراء، المشتقات الدالة على الفاعلية و المفعولية، دراسة صرفية دلالية احصائية، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط1، 2005.
22.- 1) سورة النمل، الآية 80-81.القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، اليمامة للطباعة و النشر و التوزيع، ط3، 1403ه، 1983م.